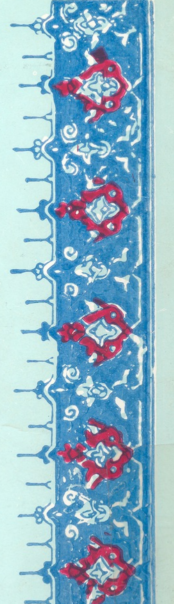




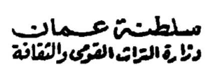
سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

تراثنا

الصلات التاريخية بين المغرب وعمان

الدكتور
عبد الهادي التازي

العدد ٢٢





تراثنا

الصلات التاريخية بين المغرب وعمان

الدكتور
عبد الهادي التازي

الطبعة الثانية

* بين المغــرب وعمــان *

د. عبد الهادى التازى

تحدث الناس عن صلات المغرب ، عبر التاريخ ، بممالك أوربا وآسيا وأفريقيا .. ولكنهم كانوا مقصرين فى حديثهم عن علاقات المغرب بمنطقة الخليج ، وخاصة بلاد عمان ، ولم يكن مرد هذا فقط ناشئا عن البعد بين المحيط الاطلسى وخليج عمان ولكنه كان أيضا ناشئا عن قلة اهتمام بالمصدر الامر الذى قد كان ما يبرره فى الماضى .

واليوم قد أخذت المراجع فى الانبعاث ، واستيقظ الوعى بأهمية كتابة التاريخ ، وعادت المسافات ساعات ، أمسى من الواجب أن يتفقد بعضنا البعض الآخر ، وأن نصل رحماً عمل الزمن بستمرار على تلاحمه وتواصــله بالرغم من أفاعيل الأيدى الخفية والظاهرة التى كانت تبذل قصارى الجهد لفصل هذا الطرف عن ذلك ، أو تشكيك هــذا الجانب فى انتســابه للجانب الآخر ..

وانه لمن المؤسف حقا أن يظل زاد تلامذتنا وطلبتنا وأخرى

مثقفونا ، قليلا فى باب التعريف بتلك العلاقات وتلك الصلات ، على كثرتها واستمرارها ، ومن المؤسف حقـا أن لا تحمـل معـاهدنا ومؤسسـاتنا وشـوارعنا كذلك أسـماء لبعض الشخصيات وبعض الوقائع التاريخية التى كانت جسوراً ربطت المغرب بعمان وربطت عمان بالمغرب •• إن ذلك سيقوى دون شك من حاسة المواطنين هنا وهناك ، ويجعلهم يرجعون إلى التاريخ ليسألوا عن هوية تلك الشخصيات وحقيقة تلك الوقائع ••

ولابد أن نذكر فى صـدر تلك الجسـور المغربية العلامة الجغرافى الشهير بالشريف الادريسى الحمودى السبتى الذى أعطى وصفا دقيقا لهذه المنطقة ظل الى الآن مرجعا صادقا لكل الذين يهمهم أن يتحدثوا عن جغرافية البلاد ومسالكها ••

لم تكن « هجرة الأدمغة » وليدة اليوم ، فقد عرفها التاريخ قبل هذا العصر ، وقد كان الشريف الادريسى أحد هؤلاء الذين تركوا بلادهم فى عهد دولة الموحدين وهكذا وجدناه فى صقلية أثناء القرن السادس الهجرى ، ببلاط روجى الثانى الذى قربه اليه وطلب منه تأليف كتاب عن الآفاق المعروفة على ذلك العهد ، وقد كانت المرحلة الاولى من أعمال الادريسى إعداد لوح الترسيم بينما كانت المرحلة الثانية صنع كرة فضية للعالم ، وكانت المرحلة الثالثة إعداد (كتاب نزهة المشتاق فى إختراق

الآفاق) الذى ألفه سنة ١١٥٣ م وكانت المرحلة الرابعة من أعماله اعداد فريدة ملحقة بكتاب نزهة المشتاق •

وقد بلغ وزن كرة الادريسى أربعمائة رطل بالرومى (حوالى ١٥٠ كيلوجرام) ، رسم فيها جميع أقاليم وأقطار المعمورة رسما غائرا مشروحا بالاستيفاء ، وقد استعان فى تصنيف كتابه هذا بمصنفات من تقدمه من علماء الهيئة والجغرافية ، وبما استقاه من أخبار التجار والملاحين ، ولا تختلف خرائطه فى ترتيبها ووضعها عن الخرائط التى نعرفها اليوم من حيث إن الادريسى يرسم الجنوب شمالا والشرق غربا ••

لقد نالت عمان من خريطة الجغرافى المغربى ومن كتابه نزهة المشتاق ، وبخاصة الجزء السادس من الاقليم الثانى ، نالت حظا وافرا يبرر — فى نظرى — أن تكون أساسا للحديث عن تاريخ عمان فى العصور المتقدمة •

فهنا فى خريطة الادريسى ذكر « لظفار وصور وقلهات ومسقط ونزوى وصحار وجلفار » إلى آخر المواقع التى ذكرها بأسمائها التاريخية مدنا وقرى وجبالا وأودية ونباتا وهوام وحشرات كذلك ، ومن المهم أن نعرف أن بعض المعلومات التى كتبها الادريسى عن عمان كانت تصله أثناء تأليفه للكتاب ،

وهكذا سمعنا عن عدد من مغاصات اللؤلؤ فى صور وقلهات ودمـــا .

ورأينا صورة كاملة لقطع للأسطول الذى كانت تتوفر عليه عمان والذى كان يخيف الهند وأفريقيا بما كان يحتوى عليه من (مشيعات) و (أغربة) وسفن متنوعة ..

وقد قصدت باستعراض تلك المدن على ذلك الترتيب أن ألفت نظر المهتمين الى ضرورة العودة الى أصل الخريطة ، والى كتاب نزهة المشتاق .. ليقفوا بأنفسهم على ما قد يكون لحـق عمل الادريسى من تســاهل من طرف الباحثين الذين اهتموا بنشر الخريطة المذكورة ، وتمكنوا من نشر بعض أجزاء النزهة الى الآن ، وأذكر على سبيل المثال وجود صحار فوق مسقط مع أن موقعها حسب نظام الادريسى مكان آخر ..

ان دراسة خاصة لمـا قاله الشريف الإدريسى عن عمان تظل دينا فى طوق الســادة علماء عمان الذين عودونا على طول نفسهم فى البحث والتنقيب ، إن عليهم تقع تبعة التحقيق فيما كتبه الإدريسى عن أرضهم وشعبهم ..

ودعونا ننتقل بعد الادريسى السبتى ، الى ابن بطوطة

الطنجى الذى كان من بين الذين اعتمــدوا على الادريسى ف هذه المنطقة [1] .

لقد عرف المغاربة من قديم برغبتهم فى الرحلات الطويلة وقد كان ذلك يرجع الى عدة أغراض ، أبرزها شيئان اثنان :

أولهما : هيام المغاربة بالمشرق ، خاصة وقد ظلوا يعتقدون ان هذه الامكنة كانت منطلق سعادتهم ، ولهذا فانه لم تكد تخلو سنة واحدة دون أن تشد الرحال من أقصى بلاد المغرب الى الحرمين والقدس ، أنقذه الله من الرجس .

ثانيهما : الباعث السياسى فان المغرب الاقصى يعتبر الدولة الاسلامية الوحيدة التى يبتدىء تاريخها الدولى منذ بداية القرن الثانى الهجرى دون ما ان تتأثر بتدخلات (هولاكو) ولا (نابليون) ولهذا نجد فى تاريخ الامم ذكرا لا يبلى للمبعوثين الذين كان المغرب يرسلهم الى الخلفــاء والأئمة والسلاطين والملوك فى آسيا وأفريقيا وممالك أوربا ، وذكرا لا يبلى للرسائل التى كان يبعثها الى الولايات المتحدة الامريكية كذلك .

---

(1) راجع مثلا ما قاله ابن بطوطة حول جبلى كسير وعوير اللذين يوجدان داخل أعماق الخليج على مقربة من البحرين يحتاج الملاح الى معرفة موقعهما حتى لا تتكسر مراكبه ولا تتعور !

وقد تضافرت المصادر التاريخية على أن الرحالة المغربى ابن بطوطة لم يكن مجرد رحالة يرضى هوايته فى التجوال والاستطلاع ولكنه كان بمثابة سفير متنقل لدولة بنى مرين المغربية ، يجمع المعلومات الجغرافية ويقف على الظروف المعاشية والمظاهر الحضارية والحياة للبلاد التى يزورها بل انه كان خاضعا لولاء العاهل المغربى ، كما تدل عليه بعض المقاطع من رحلته ، وخاصة منها الفقرات التى تذكر أنه تلقى « أمرا كريما » ذات يوم بالالتحاق ببلاط فاس العاصمة ..

ويظل ابن بطوطة الشخصية العربيـــة العملاقة الذى فرضت وجودها على كل الذين كتبوا عن تاريخ البلاد والشعوب فجميعهم يبحث عما قاله ابن بطوطة حول ما به يشتغلون ، يعتمدونه قبل غيره من المصادر والمراجع على أنه شاهد عيان

وكذا كان الامر كذلك بالنسبة لمن حاولوا أن يؤرخوا لعمان والبحرين .. فقد زار ابن بطوطة المنطقتين على التوالى وسجل معلومات فريدة فى بابها بالرغم مما احتوته أحيانا من تساهل واسترواح لم يكن ابن بطوطة مسؤولا عنه بقدر ما كان مسؤولا عنـــــه :

أولا التراجمة الذين كان يعتمدهم ممن كانوا دون مستوى الأسئلة التى كان يطرحها ، وقد مرت بابن بطوطة متاعب من

جهة التراجمة نقشت على ذاكرته ، فلم ينسها بمرور الأعوام ، وهكذا فبعد أن تذكر تورطه فى بعض جهات آسيا الصغرى حيث استحضروا فقيهاً من مكان بعيد ادعى انه يعرف اللغة العربية ، ليقوم بدور الترجمة ، ولما طلبوا اليه تأدية ما قاله الرحالة ، اعتذر بان ابن بطوطة يتكلم باللغة العربية القديمة بينما هو ، أى الترجمان ، لا يعرف إلا اللسان العربى الجديد •• !

وهكذا أيضا يعرب ابن بطوطة عن خيبته وقد قدم اليه ترجمان آخر ، كشف الغيب أنه لا يعرف من اللسان العربى إلا كلمة « نعم » خاصة ! وقد تحدث عن ترجمان ثالث بعثه ليشترى له سمنا فأحضر له عوض السمن حفنة من التبن ، وتبين ان للسمن كلمة أخرى غير ما اعتاده الرحالة ! وقد قدم له ذات يوم كوب شراب من طرف أمير أحد البلدان ، فسأل ابن بطوطة عن كنهه فأجابه الأمير إنه (ماء الدهن) فتناوله رحالتنا قبل أن يتضح له أنه عصير البوزة ، وان المجيب عوض ان يقول : إنه ماء الذخن بالخاء تجرف النطق على نحو ما يحصل عند المتلقنين للسان الآخر !!

وكلنا يعرف أنه فى هذه المنطقة تعرض أحد الزوار الغرباء لعملية كسر موجعة عندما طلب اليه أمير حميرى كان يوجد على

سطح بيت ، طلب اليه أن يثب ، فامتثل الزائر اظهارا للطاعة ، فوقـع على الأرض قبل أن يعرف أن كلمـة (ثب) تعنـى بالحميرية أجلس وليس أقفز •• الامر الذى كان مضرب المثـل المشهور : « من دخل ظفار حمر أى تكلم باللغة الحميرية !

ويعزى أمر تساهل ابن بطوطة بعد هذا فيما قد يؤاخذ عليه الى عملية السـطو التى تعرض لها الرجل أثنـاء إحدى تنقلاته فقد فقد مبيضاته المكتوبة ، وهكذا لم يكن غريبـا أن تخونه ذاكرته عندما كان يملى مشاهداته — بعد أزيـد من عشرين سنة على تدوينها ، وأمر التفريط فى المذكرات حديث معضـل ردده عدد من رحالتنا المغاربة من أمثال السـفير ابن عثمان ••

تعمدت ذكر كل هذا ، لاضع الرحالة المغربى فى الصورة الحقيقية ، حتى لا نسمح لنفوسنا بمناقشته الحساب فى البعض القليل من فجواته وغفواته !

والآن لنأخذ مركبا مع ابن بطـوطة من مينـاء كلوا (KILWA) جنوب دار السلام عاصمة (تانزانيا) الحالية لنصل الى ساحل جنوب الجزيرة العربية ، لنزور للمرة الاولى ظفار فى ٢٣ رمضان ٧٣١ هـ حيث يتحدث الرحالة المغربى عن الثروة الحيوانية التى تنعم بها البلاد وبخاصة عتـاق الخيل

التى تزود منهـا القـارة الهندية •• كما يتحدث عن الثروة السمكية وخاصة نوعية السردين ، والثروة الزراعية وبخاصة الذرة والعدس ، ويتحدث عن مساهمة السيدة فى النشـاط التجارى واجتهاد المزارعين فى استخراج مياه السـقى ممـا لاتزال آثاره بادية الى اليوم فى الآبار والافلاج مما يدل على وجود الهندسة الهيدروليكية فى المنطقة •• ولا يفوت ابن بطوطة أن يصف موز ظفار التى كانت حديث مجالس الخليفة هارون الرشيد ، باعتباره كبير الحجم طيب الطعم شديد الحلاوة •• كما يصف ازدهار زراعة التنبول (الراك) والنارجيل (جوز الهند) اللذين قـدم عنهما كلاما مسهبا فى منتهى الجـدة والطرافة ، وخاصة بالنسبة للمغاربة الذين حرموا من هـذا النوع من النبات الذى ذكر له خاصيات طيبة •

وقد تحدث ابن بطوطة عن عادة فريدة فى باب تحبيب زيارة ظفار ، وهى تعبر — الى جانب ما تدل عليه من بعد نظر — على خلق سام رفيع يعد ترديده اليوم من قبيل الأسـاطير المعنة فى الغرابة ••

وبعد أن يتحدث الرحالة المغربى عن الخلال الحميدة التى يتميز بها سكان ظفار وعن تعودهم على النظـافة وارتدائهم لاخف الثياب اتقاء للحر •• وبهذه المناسبة يقدم المدينة على انها مركز هام لصناعة الحرير والقطن والكتان ، وينتقل ابن

بطوطة لعادة المواطنين فى مصافحة بعضهم بعضا فى أعقـــاب صلاة الصبح والعصر والجمعة ويستنتج الرحـــالة من هذه الاستقامة فى السلوك والاشتغال بما يعنى أن ذلك وراء حماية الله للمنطقة من عدوان الجائرين والمجاورين

ولنبق مع ابن بطوطة المتصوف ، لنجده يقدم إلينا بعض مشاهد ظفار على ذلك العهد ، وهكذا نسمع عن زاوية أبى محمد بن أبى بكر بن عيسى التى يستجير بها بعض المتابعين على نحو ما كان عليه الحال فى المغرب بالنسبة لبعض المشاهد هنـــا فى هذه الزاوية قضى ابن بطوطة ليلته مكرما من ابنى ضجيع الزاوية الشيخين أحمد ومحمد ..

ويعطى الرحالة المغربى صورة جميلة لقاضى المدينة ابى هاشم عبد الملك الزبيدى الذى كان مثلا فى الصلاح والتواضع والكـــرم ..

واذا كان الرواة قد ذكروا ان قبر نبى الله هود بن عابر يوجد بالجدار القبلى من المسجد الأموى بدمشق الشام ، فان ابن بطوطة يعقب على هذه الرواية بانه وقف فى ظفار ، فى الأحقاف منها ، على زاوية تحتضن قبراً كتب عليه « هذا قبر هود بن عابر عليه أفضل السلام .. »

وقد أفرد حديثا عن تقاليد السلطان علي ذلك العهد وعن العادات المتبعة فى ممارسة الحكم مما يدل علي الاصـالة فى ضبط الامر واحكام السياسة ..

ويتأكد ان الرحالة المغربى أخذ طريقه البحرى من (صلالة عاصمة ظفار فى ٢٧ ذى القعدة ٧٣١ هـ فقد نزل فى اليـوم الثانى فى مرسى (حاسك) بمعيـة صاحب المركب على بن ادريس حيث قضى بعض الوقت ليقدم لنا صورة جديدة عن نوعية السمك المتوفرة فى هذه الناحية ، وعما نسميه فى المغرب بحصى اللبان الذى لا يخلو منه متجر فى أسواق العطارين بالمدن المغربية ، ومن حاسك عاد المركب فى اتجاه جبل لمعان حيث وصله بعد أربعة أيام واجتمع بشيخ متبتل هناك ، ومن لمعان الى (جزيرة سماها جزيرة الطير) لانها لا تحتوى الا على أنواع من الطيور ، كنت أتصورها على نحو (جزيرة الطيور) فى (الصويرة) المغربية ، وهنا أيضا يتحدث نوع السـمك ويقارنه بما يوجد فى المغرب ، ويتعمد ابن بطوطة كلمة الحوت فى نظير كلمة السـمك ، ليشعر أن الاستعمال المغـربى لا يخصص الحوت للنوع الضخم على ما هو عند المشارقة ، وهو الاستعمال الذى تؤيده المعاجم اللغـوية .. ولم ينس ابن

بطوطة أن عيد الأضحى لعــام ٧٣١ ه صادفه وهو على متن البحــر العربى[1] •

وقد تبنى المطبخ الامريكى اليوم صحن طعــام يقدمه فى المناسبات الكبرى ، كان يشبه تماما الصحن الذى حضره بعض تجار عمان فى المركب ، وهو عبارة عن ذرة مصــلوقة مضــافا اليها عسل التمر •• لم يفت ابن بطــوطة نســبة الصحن الى عمان ، ولم يتردد فى القول بانه لم يتناول هذه الوجبــة فى الســابق واللاحق ••

ويصل الرحالة الى جزيرة مصيرة ، حيث انتظر زيارة صاحب المركب لأهله ، ثم اتجه الى مرسى (صــور) حيث خطر بباله أن يزور بطريق البر مدينة (قلهات) صحبة مولانا خضر الهندى وبمساعدة دليل أقلق ابن بطوطة مراوغاته ومواورباته ، وهنا نقف على حكاية ملذة للمتاعب التى تعرض لها الرحالة المغربى فى سبيل الوصول الى قلهات التى كانت تستحق أن تسمى بالنسبة لــا حصل له « مس كد » ! لأنه لم يصلها إلا بعد أن مسه الكد ونال منه الجهــد ! (ولدون مسكد مس كد) !

---

(1) لابن بطوطة لغته الحاضرة التى خصص لها الباحثون معجما على حدة ، على ما نرى فى نحو كلمة الفرجية لنوع من اللباس و (المصرية) لمشتمل البيت أو جناح منه ..

وهنا فى قلهات يقدم ابن بطوطة مظهرا جديدا من مظاهر الحضارة الاصيلة والحفـــاظ على الامن فى البلاد ، وهكذا وجدنا الرحالة يقصد صحبة حارس باب المدينة الى قصر الامير ليتأكد من هويته ووجهته ومقدمه وأسباب زيارته على نحـــو ما نملأه اليوم على متن الطـــائرة عندما نقترب من النزول على أرض أمة من الأمم ••

ولم يفت ابن بطوطة ان ينعت حاكم المدينة بالفضل ودماثة الخلق وكرم الضيافة وجميل المواساة التى كان فى حاجة ماسة اليها طيلة الايام الستة التى قضاها فى قلهات •

ولاشك ان فترة الاستجمام هذه كان لها أثر على استعادة ابن بطوطة لمتابعة وصفه لقواعد عمان ، وأن ما قاله عن قلهات وأسواقها ومسجدها الاعظم ليشوق بحق الى أداء زيارة لهذه المدينة الجميلة !!

فلقد أخذ بلبه تطريز جدار الجامع بالقشانى الذى شبهه بما نسميه فى المغرب بالزليج ، وليس الزالج كما رسمته بعض المصادر العمانية ، وصناعة الزليج أو القاشانى من أهم وأتقن وأجمل الصناعات التقليدية الدقيقة التى يحتفظ بها المغرب الى الآن ، والصانع يحمـــل وصف (الزلايجى) ويجمـــع على (زلايجية) •

وقد ظل ابن بطوطة يتحسس النكهة الطيبة لسمك قلهات الذى لم يذق مثله فى أقليم من الاقاليم والذى كان يفضله على جميـــع اللحـــوم ..

ويذكرنى وصف ابن بطوطة لطريقة اعداد السمك بقلهات فيما كنت أراه فى بغداد مما يعرف باسم (المسقوف) ، لكن وصفه كان أكثر دلالة فهو يتحدث عن شى" السمك على ورق شجر (الطرفاء) الذى يكسبه أيضا رائحـــة عطرة ، وهو يتحدث عن جعل السمك على الارز .. وهو صحن لذيذ ومطلوب فى البلاد المغربيـــة .

وكما حكى عن عادة ظفار فى الاستقبال الكريم للمراكب ، كانت العادة أيضا متبعة على قلهـــات الامر الذى يدل على تماسك أخلاق السكان ووحدة أرومتهم جنوبا وشمالا ..

وقد فات ابن بطوطة عندما لاحظ على أهل البلاد انهـــم عندما يسألون عن شىء يضيفون كلمة : لا .. فاته أن أهل المغرب أيضا يرتكبون نفس الاسلوب فيقولون تفعل كذا والا لا .

وقد رسم ابن بطوطة لوحة فنية بالغة الجمال لقرية طيوى التى نطق بها الرحالة المغربى (طيبى) ربما لخطأ وقع له فى التقاط الكلمة ، هذه القرية التى نعتها من أجل القرى وأبدعها حسنا بما تضمه من أنهار وأشجار وبساتين وفواكه ..

ومن قلهات قصد عبر الصحراء (نزوى) قاعدة عمان على ذلك العهد •• وتظل قاعدة عمان القديمة مدينة لابن بطوطة فيها وصف به العاصمة السابقة من وفرة البساتين وغزارة الانهار وترتيب الاسواق ونظافة المساجد •• وقد كشف ابن بطوطة عن عادة بالغة الغاية فى تصوير الخلق الاسلامى ، والكرم العربى فى أروع حقائقه ، حيث نجد تعود النزويين على تناول الطعام فى صحون المساجد حيث يأتى كل مواطن بما يتوفر لديه من قوت ويجتمع الناس للأكل فى صحن المسجد ، يشاركهم الواردون والصادرون ••

هذا الى اضفاء صفات النجدة والشجاعة على أصحاب البلاد ، وهى الصفات الثلاث التى تظل ميزة الانسان العربى على مر الزمن •

وقد تمكن ابن بطوطة من الاتصال بسهولة بسلطان عمان أبى محمد بن نبهان الذى وصفه الرحالة المغربى بعدم التكلف والاستئثار بالحكم وفتح بابه للجميع وبسط السفرة والعناية بالغريب ••

وإذا كان ابن بطوطة لم يتعرض للمذهب الدينى المتبع فى ظفار •• فانه لم يفته ان يتحدث عن المذهب الاباضى المتبع فى نزوى ، وهنا نستفيد من خلال كلامه ان حرية اختيار المذهب

كانت مؤمنة للناس ، وفى معرض حديثه عن المذهب السائد نقل عما شاهده وسمعه ، وكنا نتمنى أن لو قام بحوار هادف لتبادل وجهات النظر حول ما يأتيه الناس وما يذرون ، لكنه اكتفى بمجرد الحكاية التى لم يكن غريبا علينا أن نسمع عنها ، من ابن بطوطة ، ما دأبنـــا على سماعه ممن يختلفون مذهبا عن الآخرين ، وخاصة فى العصور الغابرة •• اعتدنا هـــذا فى رحالاتنا ـــ منذ التاريخ المبكر ـــ ممن كانوا يمرون فى طريق حجهم بميزاب وجزية والزوارات اعتدناه من (التيجانى) إلى (الاسحاقى) كما اعتدنا أيضا التصدى لهؤلاء من عدد من العلماء الاباضية من أمثال على يحيى معمر ومحمد بن زبوز •• الامر الذى أثرى من جهة أخرى المكتبة الاســـلامية ، وأغنى ميدان الحوار الفقهى •• ومع هذا لابد أن نلاحظ ان ابن بطوطة كان يرتفع عن الغرض والا فبماذا نفسر انتقاده لابن نبهان (نزوى) ، مع انه كان لا يخالفه فى المذهب ؟

وهكذا وجدناه يروى حادثة اعتمد فى شطرها الاول على ما قاله إنه حضره بنفسه بينما اعتمد فى شطرها الثانى على ما ذكره له من طرف مجهول •

ويودع ابن بطوطة بلاد عمان عن طريق هرمز فى سنة ٧٣١ هـ ولكن ليعود اليها بعد نحو من سبع عشرة سنة ، وفى

هذه المرة يقصـــدها عن القـــارة الهنـــدية ، من قاليقوط (١) (CALICAUT) فى محـــرم سنة ٧٤٨ هـ ، لقـــد زار ظفار مرة ثانية ونزل عند سلطانها قبل أن يأخذ الطريق البحرى الى مدينة مسقط حيث أعطى نظرة عن ثروتها السميكة •• ذاكرا النوع المعروف بقلب الماس ، لقد كان أخذ فكرة جيدة عن كرم عمان وخلق أهل عمان ولذلك فانه فضل أن يصل معها الرحم مرة أخرى ، وأظنـــه ممن كان ينطبق عليهم بعض الشىء بيت الشعر الذى أورده صاحب (الامتناع والمؤانسة) والذى سأل هشام عليا بن خالد الهجيمى عن قائله :

لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أصبح جمعهم بعمان !

وبعد ان استمتع بمجالس مسقط نزل جنوبا الى مرسى القريات ثم الى مرسى (شبة) أو (الشباب) ثم الى مرسى كلية ليلتحق بقلهات ويبحر منها الى هرمز مرة أخرى •

وهكذا اسهم ابن بطوطة الطنجى فى كتابة تاريخ عمان على نحو ما كان من سابقه الشريف الادريسى الذى قدم من

---

(١) تقع فى الجنوب الغربى من الساحل الهندى وهى غير كالكتا CALCUTA التى تقع فى الشمال وقد التبس الامر عند بعض الكتاب العـــرب •

عمان معلومات جغرافية أصيلة على ما أسلفنا ، ومن حقنا أن نتسأل عن انطباعات ابن بطوطة حول المنطقة وعن صلات مواطنيها بالمواطنين المغاربة ٠

لقد شعر ابن بطوطة فى هذه البلاد بشبه قوى بين أهلها وبين أهل المغرب ، وهذه القولة التى مضى عليها زهاء سبعة قرون ، تؤكد نفسها بصفة ملحة وتجعل الزائر العمانى للمغرب لا يشعر هو الآخر بفرق بين هاتيك الديار وهذه الديار ، وهذه حقيقة أخرى تجعلنا نقف طويلا أمام ما رواه المؤرخون عن أصول المغاربة من أن صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حمير على حد تعبير ابن بطوطة ٠٠ وأحب أن أفتح قوسين هنا لأتسأل عن الصلة بين القوم الذين يعرفون باسم (الشحوح) وبين القوم الذين يحملون فى المغرب اسم (الشلوح) ، كل له لغة لا يفهمها غيرهم ، وكل له سحنة تختلف فى الغالب عن سحنة الآخرين ٠٠

لقد قوى من انطباع ابن بطوطة ذلك انه لاحظ وهو فى ضيافة خطيب المسجد الاعظم أن أسماء جواريه أيضا أسماء مستعملة فى المغرب ٠٠ كذلك لاحظ أن أهل ظفار حاسروا الرأس وهى عادة مغربية تخفى حتى على بعض المغاربة من الذين لا يعرفون ان جل الشخصيات الاندلسية المغربية كانت تكتفى بوفراتها الكثيفة المضمخة ! وأخيرا فان كل بيت كان يحتوى فى

أبرز ما يحتوى عليه سجادة يفترشها عند الصلاة وهى عادة مغربية صميمة ، هذا الى ميل الناس هنا لتناول الذرة ، وهى المزروع المحبب لدى أهل المغرب •

ان هذه الاستنتاجات من ابن بطوطة لا ينبغى ان تؤخذ على انها مجرد افتراض ولكنها افادة تاريخية هامة عثرت أقدام الباحثين الأوربيين الذين كانوا ــ ومايزالون ــ يحاولون أن يلحقوا الانسان المغربى بالانسان الاوربى ، ومن ثمت سمعنا عن التفريق بين بربر المغرب وعربه مع أن الكل وارد أصلا من هذه الجزيرة ••

وانه لما يلفت النظر الملاحظ أن يسمع فى المغرب عن أسرة العزفى ولاة (سبتة) المغربية فى العصر الوسيط ومنشئىء عادة الاحتفال بعيد المولد فى الديار المغربية •• وقد كانوا منحدرين أصلا من قابوس ابن النعمان بن المنذر ! وأن يسمع عن أسرة (الغسانى) وأسرة (الحارثى) وأسرة الزبيدى وأسرة الزواوى والسالمى والراشدى وأسرة السراج الحميرية ، بل وأن نسمع عن أسرة (العمانى) التى نزحت كسابقاتها من هذه المنطقة إلى المغرب عن طريق الاندلس •• ثم أن نسمع عن عادة حمل الخنجر فى الجنوب •

لقد أسدى ابن بطوطة لثلثى سكان المعمورة جميلا لا ينسى

بما كتبه من سائر وجهات النظر •• ومايزال ـ بالرغم من الاهتمام الذى احتف بمذكراته ـ بحاجة الى عناية أكثر ، وأعتقد انه لو كان ابن بطوطة من مواليد أمريكا لأطلقوا اسمه على المطارات والموانىء ومحطات الفضاء ، تقديرا لمـا قدمه للمجموعة الدولية من عطاء ••

ولنودع فترة بنى نبهان الى فترة اليعاربة لنشهد تلاحما لا نظيرا له فى علاقات أمة بامه لنشهد تجاوبا بين المحيط والخليج ظل محل إهمال من المؤرخين المشارقة والمغاربة على السواء ، ويتعلق الامر بالتشابه القوى بين وضع هنا ووضع هنـاك وبالتضافر من طرف الجانبين على التخلص من الوضعين ••

وهكذا فكما ستقع فى يد البرتغال هنا مسقط وصحار وجلفار وصور وقريات ، وقعت هناك فى المغرب سبتة والقصر الصغير وأصيلة وطنجة وأكادير ، وكما بنيت القلاع والحصون البرتغالية هنا فى مسقط (ميرانى وجلالى) شـاهدنا فى المغرب عددا من الحصون والقلاع تحمل أسماء مثل أنطاكروز أى الصليب المقدس •• وكما باع البرتغاليون أسرانا من (دكالة) فى لشبونة أوائل القرن السادس عشر كانوا أيضا هنـا يخطفون قومكم وكما أغرت هذه المنطقة جيرانها من الاعجام فانهالوا عليها ، فقد حركت بلادنا من شهية من جاورها من الاتراك فحاولوا أن يلتهموها ••

وكما سمعنا عن صدام العثمانيين مع البرتغاليين هنا ، شاهدنا مضايقتهم للاسبان هناك ولكن على حساب المغرب وعمان •• لقد كان الهدف الاول ما اثبت التاريخ حماية المصالح الخاصـــة !

وكما كانت الخلافات الشخصية بين أبناء البـــلاد ممهدة للتدخل الاجنبى هناك ، رأينا الامر كذلك بالنسبة للمنطقة هناك فقد كان بعض القـــادة تجاوز الله عنهم يعتقـــدون أنهـــم بالاستعانة بالاجنبى سيتغلبون على خصـــومهم السياســـيين ويعود الاستعمار من حيث أتى وبدون أن يستفيد من ثمرات تدخـــله !

لقد كان الهـــدف البعيد للصليبية قص جنـــاحى العـــالم الاسلامى فى محاولة ماكرة للاجهاز على المقومات الروحيـــة والقضاء على لغة القرآن ، وذلك قبل أن تجتذبهم البهـــارات التى كانت بمثابة البترول اليوم •

لقد وجدت طلائع المغاربة فى عمـــان كما وجدت الدولة السعيدية نفسها أمام جيوش حافلة تهدد أراضيهم وتستغل ثرواتهم •

ولعل من الامانة للتاريخ أن أرفع ظلما غير مقصود وقع

على أحد العمانيين الاعلام ممن يفتخر بهم تاريخ الملاحة البحرية ، ويتعلق الامر بالمعلم أحمد بن ماجد الذى ذكر النهروانى عنه انه هو الذى هدى (دى كاما) الى هذه المنطقة هذه الرواية التى وجد فيها المستشرق الفرنسى فيران (FERRAND) مجالاً للحديث ، ونقلها بعض المؤرخين العرب عن حسن نية باعتبارها تبرز ابن ماجد على انه يتفوق على الملاحين الأوربيين معرفة وخبرة ! الامر الذى كان مصداق المثل القائل « من معرفته بالصحابة صلى على عنتر » !

وقد غفل هؤلاء عن حقائق ثلاثة تبعد مساعدة ابن ماجد للبرتغال :

أولهما : ان ابن ماجد كان يكره البرتغاليين كرها بالغا وقد ظهر ذلك فى شعره الذى يقول فيه عن البرتغال :

وهو الذى قد قهر المغاربة وإندلس فى حكمه مناسبة !

ثانيا : ان نص النهروانى يذكر أن دى جاما ، انتزع الأسرار من ابن ماجد .

ثالثا : أن ابن ماجد لم يتحدث مطلقا فى كتبه العديدة التى ظهرت ، عن تقديم مساعدة من هذا النوع ، وهو مما يشكك - ان لم يبطل - فى رواية النهروانى .

وهكذا فاذا ثبت عن استفادة دى جاما من قراءة كتــاب الشريف الادريسى ورحلة ابن بطوطة ، فانه لن يثبت ما نقله النهروانى فى (برقه) مادام لم يعزز بمصدر ثان كيفما كان لونه عربيا أو برتغاليا

لقد ظهر ناصر بن مرشـــد هنا فى عمان وظهـــر أحمـــد المنصور هناك فى المغرب كلاهما حكم نفس عـــدد السنين التى حكمها الآخر تسعا وعشرين سنة كلاهما قطـــع الطريق على البرتغال والمناوئين فى الداخل ، كلاهما عاش فترة ذهبية فى تاريخ النضال الشريف من أجل تحرير الثغور ..

وأرجو ان تسمحوا لى ـــ بعد أن عرفنا عن دور الادريسى وابن بطوطة فى التعريف بالمنطقة ـــ أن أنتقل الى موقعة حربية ينبغى فى نظرى أن تحمل الشوارع فى قواعد عمان اسمها لمـــا كان لها من أثر قوى على التعجيل بكسر شوكة البرتغال فى هذه المنطقة وأعنى بها المعركة التى تمت بمكان قرب مدينة القصر الكبير يحمل اسم (وادى المخازن) فحملت بذلك اسم الموقع ونعتتها المصادر التاريخية بانها (غزوة بدر) ؛ لقـــد كان البرتغاليون يطمحون الى ان يستحوذوا على الساحل المغربى كله وقد كان هذا الطموح منهم بعد أن حصلوا على مساعدات دولية وتزكيات ومباركات من زعماء المسيحية آنذاك ..

وشاء الله أن ينزل الضربة القاصمة بالاحلام البرتغالية عندما رمى بجيشهم الى الدخول مع المغرب فى المعركة •• وقد اصم القدر آنذاك ملك البرتغال (دون سباستيان) فلم يصخ بسمعه بحال الى النصائح التى قدمت اليه من قبل وزرائه ، بل ومن قبل ملوك أوربا وعلى رأسهم ملك قشتالة ، وهكذا صحب ملك البرتغال مائة وعشرون ألف مقاتل جمعهم بمساعدة البـابا من سائر الممالك المسيحية ، هـذا الى ما كانوا يجرونه من المدافع وآلات الدمار •• وقد تم التجمع البرتغالى فى مدينة (أصيلة) التى يردد أهلها الى اليوم المثل القائل : « أصيلة صغيرة ومحاينها كبار » (يعنى متاعبها عظيمة) •

كان آخر يوم من شهر جمادى الاولى من عام ٩٨٦ هـ عندما عبر طاغيـة البرتغـال جسر الوادى المعروف بوادى المخازن ، وأمر العاهل المغربى المولى عبد الملك بهدم الجسر ليلة الصدام المنتظر •• وكان اللقاء •• وركب المغاربة أكتاف العدو يقتلون ويأسرون فولى البرتغال الادبار وحاول الحرس الملكى أن ينقذ العاهل من الهلاك فنصحه بأن يعود من حيث أتى لكنهم لم يجدوا جسراً كان هنا بالأمس ! وألقى بنفسه فى الوادى مفضلا الانتحار بالغرق لكن أحد المغاربة أهوى عليه بخنجره فجمع بين القتلتين !

وقد لقى نفس المصير أحد الذين أصروا على الاحتفاظ

بلقب الملك بالرغم من عزل الشعب له وحكم الفقهاء عليه بالمروق لاستنجاده بملك البرتغال على اخوانه ••

وشاءت الاقدار أن يلتحق بالرفيق الأعلى السلطان المولى عبد الملك فى أعقاب مرض اشتد عليه فى نفس اليوم ، ومن ثم سميت الغزوة عند المؤرخين الاوربيين بمعركة الملوك الثلاثة وربما سميت أيضا معركة القصر لان مدينة القصر على ما قلناه كانت أقرب مدينة ، وهى المعركة التى نعتها الاوربيون بالمعركة الحاسمة فى تاريخ الصراع بين المسيحية والاسلام •

وهكذا بايع المغرب السلطان أحمد المنصور الذى كان العضد الايمن لأخيه الراحل عبد الملك ، وقد هز هذا الحدث العظيم ملوك أوربا وسلاطين القسطنطينية العظمى فبعثـــوا بسفرائهم يزفون التهانى ويعربون عن الامانى ويحملون معهم التحف والهدايا طالبين المسالمة ، راغبين فى إبرام عقـــود الصداقة والســـلام •

ورأينا من جهة أخرى اليهود المقيمين بالمغرب يحفظون تاريظ هذا اليوم لأداء صلوات الشـــكر لله على نجاتهم من احتلال كان سيعيد عليهم عهـــد المحـــارق التى عرفوها فى قشـــتالة !

لقد وصلت لاخواننا أهل عمان دون شك أخبار الهزيمة المنكرة التى ألحقتها الجيوش المغربية بالرأس المدبر لحركة الغزو التى تترصدهم فى الهند وتتربص الفرصـــة للانقضاض عليهم ، تلك الحركات التى ستبلغ الغاية فى العتو عندما صلمت فيها الآذان وجدعت الانوف ! ••

فهل انتهى حسابنا مع الاستعمار ؟ لقد وجد المغرب نفسه وجها لوجه مع فيليب الثانى الذى خلف دون سباستيان ، وقد مات دون أن يخلف وارثا حيث اندمجت البرتغال فى أسبانيا أزيد من ستين سنة ••

ومن سخرية القدر أن تتوسط أليزابيث الاولى للمطالب بعرش البرتغال ، ونجده يلتجىء الى المغرب ليطلب مساعدة العاهل على استرجاع ملكه الداثر علماً منهم بان عرشهم الذى ثملته سيوفنا لا يتأتى جبره الا على يدنا كما تقول الرسالة التى بعث بها السلطان المنصور الى الشعب المغربى آنذاك ••

لقد وجد المنصور نفسه أمام قوة جديدة تحاول أن تركز قواها فى الصحراء المغربية لتضمن عبر الرجاء الصـــالح أو « المدخل » كما تسميه المصادر القديمة ، لتضمنه للوصول الى الهند وعمان ، ولتستعد بذا لتطويق المغرب من ناحية الجنوب حتى لا يستطيع الحراك ••

وهنا كانت حركة المغرب الثانية فى الجنوب المغربى عندما قام السلطان أحمد المنصور بمسيرته الحمراء بعد أن استنفذ كل وسائله لاقناع المسؤولين هناك بضرورة توحيد الكلمة •• لقد ذهل العالم لتلك المسيرة التى قضت على أحلام فيليب الثانى فى السيطرة على المواقع الساحلية المؤدية الى (المدخـــل) والتى كانت فى الواقع امتداداً لاهداف معركة وادى المخازن • وقد تنفس اخواننا فى عمان الصعداء أيضا من هذه الاخبار التى وصلتهم عن طريق بريدنا الدائم مع الشرق : عن طريق السفراء المغاربة الذين ما انفكوا يتقاطرون على اسطانبول وقادة المشرق من أمثال سفير الخلفاء التامجروتى أخى صاحب كتاب (النفحة المسكية) ، عن طريق الحجاج ، على الاقل ، ممن كانت تجتذبهم المنطقة فينقلون لنا عنها كما ينقلون اليها عنا : لنقف على التقرير الذى رفـــع القنصـــل البرتغالى فى فاس بتاريخ ٣٠ مارس سنة ١٥٤٢ م الى دولته يخبرها بان الحجاج المغاربة الواردين من المشرق نقلوا أخبار تحرك البرتغال أخيرا فى البحر الاحمر ، فعلا لقد كان دوفاسكو حاكم الهند توجه بتاريخ ٧ ابريل سنة ١٥٤١ م من جاوا على رأس قوة لمهاجمة السويس •• ولنقف على تقرير آخر بتاريخ ٨ ابريل سنة ١٥٤١ م يتحدث عن تذمر المسلمين المغاربة من الاخبـــار الواردة على فاس حول انتصار حققه البرتغاليون فى المشرق •

ألا يدل هذا على التجاوب العميق بين المغرب والمشرق ؟

ولنحضر جميعا مجلس السلطان أحمد المنصـــور الذى عقده فى أعقاب تلك الانتصارات لتلقى تهانى الوزراء والكتاب والشعراء ، لقد تحركت أريحية الشاعر أبى عبد الله محمد بن على الهوزالى المعروف بالنابغة ، وقد كان من قوله فى سينية طويلة :

ج لعميق بين المغرب والمشرق ؟

وحسبك من (وادى المخازن) وقعة بها الشرك حتى آخر الدهر ناعس
وضاقت على (بستان) كل عويصة وذلت لنا منه الأنوف الفطارس
فجهز ما تحتـــوى ذخـــائر ملكه يذود بها عن نفســـه ويداعس
ولو أيقنوا منها النجـــا ببناتهم لزفت لنـــا أبكارهم والعـــرائس

وقال أبو محمـــد عبد الواحـــد المدعو الشريف الحسنى السجلماسى فى عينيته :

امام حمى الاسلام قائم سيفه وروع أرض الشوك فهى بلاقع
سقاهم بكأس ماسقطوا قط مثله هو السم فى أمعائهم وهو ناقع
فكم مركب فى كيدهم ركبوا لنا فعيق وصدوا وانثنى وهوضائع!

ويقول أبو الحسن على بن منصور الشيظمى من همزية طويلة ، يشير فيها لمدينة القصر الكبير التى تقع على مقربة من

وادى المخازن ، كما يشير لنهر النيجر بالسـودان وتسـميه المصادر المغربية بنهر النيل :

لكن جنى فتح كمثـل المجتنى بالقصر ، أو بالنيل دون ابـاء
القصر جر لقيصر الحتف الذى أبقـاه منقطع العرى بعـراء
والنيل نال به الخليفة فتح مـا قد كان قبل أصم فى عمياء !

وله من قصيدة ثانية دالية بالمناسبة :

شامت بوارقها القتام وأرعدت هندا مع السـند البعيد بأرعد
وقبيلهم تركت عسـاكر قيصر بالقصر هلكى كالرماد الأرمـد !

ويقول أبو عبد الله محمد بن على القشتالى :

ولبوس بأست فى المخازن ارتدى وسط المخازن بسـتان الأشام
وطويت فى السـودان مملكة لها بين المشـارق والمغرب مجثم
فامدت الاملاك من أقطـارها راح الضراعة زنجها والديـلم

وقول أبو على المسقيوى :

كما فل غرب الروم سيف انتقامه وطاف حليهم طائف القتل والأسر

لقد قصدت الى استعراض بعض ما قيل فى هذه الملامح الفريدة لانها كما أشرت غيرت من خريطة العالم وأقبرت مطامح الدول الى الأبد وكان لها بعد هذا دور دون شك فى الهاب الحركة الوطنية هنا ضد القوات البرتغالية الغازية ..

وهل اكتفى الشعر بالاشتغال بالمغرب دون أن يلتفت الى عمان ؟ تعالوا بنا لنقرأ نونية طويلة لأبى فارس عبد العزيز القشتالى ملمحا لوقعة وادى المخازن وللمسيرة المغربية فى تخوم بلاد السودان ، جاء فيها ذكر عمان على انه يبتهج بتلك الانتصارات التى كان يعتبرها انتصاراته .. قال فى مطلعها :

هم سلبونى الصبر والصبر من شأنى
وهم حرموا من لذة الغمض أجفانى

الى أن يقول متحدثا عن كتائب أحمد المنصور :

من اللائى جر عن العدا غصن الردى
وعفرن فى وجه الثرى وجه (بستان)
وفتحن أقطار البلاد فأصبحت
تؤدى الخراج الجزل أملاك سودان
أيا ناظر الاسلام شم بارق المنى
وباكر لروض فى ذرا المجد فينان

. . . .

فكم هنأت أرض العراق بك العلا
ووافت بك البشرى لأرض عمان !
فلو شارفت شرق البلاد سيوفكم
أتاك استيلابا تاج كسرى وخاقان !

ان ذكر عمان هنا لم يكن من أبى فارس لتسديد وزن أو قافية ، ولكنه كان وليد معرفة ودراية بأحوال منطقة عمان على

ذلك العهد كيف وهو كاتب أسرار الدولة المنصورية وهو المتكلف بعلاقاته الخارجية ، وهكذا فان ذكر عمان له من الأهمية فى الذكر ما لا يقل عن ذكر كسرى وخباقتيان ..

وهل كان نصيب (عمان) من الشعر المغربى فقط عندما حقق نصره على البرتغال ؟ لنزره أعظم وأقدم مؤسسة علمية ثقافية فى (فاس) : العاصمة الاولى للاسـلام بديار المغرب الاقصى ، فهنا أنشأ السلطان عبد الله بن الشيخ بن المنصور السعدى قبة عظيمة فى الجهة الغربية من صحن المسجد على نحو ما فعل جده المنصور فى الجهة الشرقية ، تذكر القبتان المتقابلتان فيما يوجد بقصر الحمراء فى غرناطة ، قال أبو العباس القاضى مما يوجد الى الآن منقوشا بداخل القبة المذكورة :

حزت المفاخر بالمنصور أجمعها ... ومن علاه سناء المجد أوطانى
فخر الخلائف والاقيال من مضر ... اشاع صيتى فى أطراف عمان !

وهكذا كنا نعيش مع عمـان فى مواقعنا الحاسمة وفى أيامنا الباسمة وفى مجامعنا وجوامعنا .. ومن ثمت فلم يكن غريبا على المسلمين أن يتلقوا أخبار تصدى أمام عمان وتاج اليعاربة ناصر بن مرشد للغزو البرتغالى سنة ١٦١٥ بقلوب

ملئها المسرة والبهجة فلقد برهن على انه فى مستوى الأحداث وانه فعلا جدير بالقيادة الرائدة :

أباد المشركين بسـيف عـدل   وأهل البغى فاقتضبوا اقتضابا
سقى أسيافه علق الاعـادى   فمـا ضربوا بدورهم قبـابا
فمن صور الى صـير ظبـاه   تصب دمـا وتنمـو الانصبابا

إن دولة اليعاربة فى الخليج ودولة السعديين فى المحيط ، كلتاهما دقت المسمار الاول فى نعش البرتغال بالمنطقتين ، فهل من حقنا أن لا نحتفظ فى الخليج دور المنصور فى كسر شوكة البرتغال فى مسكد ، وهى من حقنا أن لا نحفظ فى المغرب دور ناصر بن مرشد فى صمودنا لتحرير الثغور الباقية من بلادنا ، انه لولا أمثال هذين القائدين العظيمين لكنا نتكلم اليوم بالبرتغالية على نحو بعض الدول الافريقية وأمريكا اللاتينية !

لقد كان المؤرخ البريطانى روبيرت ليندن منصفا عندما ربط انهزام البرتغال فى الخليج بالضربة القاصمة التى لحقته فى المحيط ! وان الذين يغفلون عن هذه الحقيقة لمقصرون جـدا فى ربط أحداث التاريخ بعضها ببعض ! وهكذا فعندما نردد

---

(١) تطرق المصادر على هذا التاريخ باستثناء مخطـوطة « الشـعاع » .

ميمية الشيخ خلف سنان الغافرى فى فتوحات الامام سلطان بن سيف ابن عم الامام ناصر ! التى يقول فيها :

فغدت من عمان كف بنى الاصفر صفرا قد هزها الانهزام !

عندما نتذكرها ينبغى أن نجعل نصب أعينا بيت أبى فارس القشتالى :

فكم هنأت أرض العراق بك العلا وأوفت بك البشرى لأرض عمان !

ويتذكر المغاربة قاطبة انه عندما كان السلطان محمد بن عبد الله يرمى بآخر جندى برتغالى من ثغر مدينة الجديدة فى المحيط كان الامام أحمد بن سعيد يقذف بالمحتلين العجم فى عرض الخليج •• وهكذا أيضا فكأنما كان هناك هاتف أحمر بين الملكين تعاهدا من خلاله على الاحتفاظ ببلادهما عربية الى بلاد المغرب تحمل رسالة الى الاخوان من أهل المغرب القلب واللسان !

وهل نغفل بعد هذه الاشارة للبعثة التى راحت من عمان الى بلاد المغرب تحمل رسالة الى الاخوان من أهل المغرب بمناسبة عقد البيعة للامام عزان ابن قيس بن أحمد بن سعيد فى ١٢ من ذى القعدة سنة ١٢٨٥ هـ فاعتمادا على ما أورده الامام السالمى صاحب تحفة الاعيان فقد أرسل بخطاب كان من

انشاء العلامة سعيد بن خلفان الخليلى يذكر فيـــه ان الباعث لتحرير الكتاب الاعلام بأن « أهل عمان وقد قدموا لهم اماما ذا ثقة ودين وعقل وشهامة فى المهتدين وهو الامام عزان بن قيس ابن الامام •• ولمـــا كانت هذه من أكمل النعم الدينية •• وجب أن نعرفكم بها لانكم شركاء فى كل مكان من الامور الدينيـــة المحمدية •• »

لكن الابواب كانت قد أوصدت دون رسالة عمان فقد أحكمت القـــوى الاستعمارية قبضتها على المغـــرب الادنى والاوسط •• وكان المغرب الاقصى يصارع لصـــد الاطماع الاوربية عن ترابه ••

وبهذا نفسر عدم وجود صدى للرسالة العمانية فيما عدى لامية الشيخ أطفيش التى تحدث عنها صاحب التحفة والتى قال انها كتبت للامام ، وقد جاء منها قوله :

على ماء بحر الروم آتيك مسرعا اذا شاء ربى أو ببر كرئبال !

وبعد ، فان هنالك فترات من تاريخنا البعيد ماتزال فى حاجة الى البحث والتنقيب ، وان فى صدر تلك الفترات هـــو ما عشناه فى تلك الظروف العصبية التى استهدفت فيها بـــلاد المشرق والمغرب للغزو الأجنبى •

وانه اذا كان من حق الذين غزونا وهاجمونا فى عقر ديارنا أن يطمسوا معالم قوتنا وأن يكتموا جوانب تضامننا ومظاهر تجاوبنا مشرقا ومغربا ، فانه لا يحق بحال لمؤرخينا أن يغفلوا عن أى اصرة من الاواصر التى جعلت منا مناضلين متمرسين على أرض متباعدة الاطراف ، وجعلت منا متناصرين هنا وهناك ..

ولعلهم يجدون فى هذه المواسم الثقافية عكاظهم الجديدة للتعريف بمخطوطاتهم وتسجيل الافادات من الشيوخ الطاعنين ومن الرواة المهتمين .. لعلهم يجدون فى هذه المواسم الثقافية مجالا لنشر ما يترجم عن الوثائق المكتوبة باللغات الاجنبية عن عمـــان التى كانت ترهب ذات مرة باسطولها العتيد كلا من القارتين الهندية والافريقية وباقى ساحل الخليج .. لعلهم يرحلون الى ليشبونة ومدريد واسطنبول وطهران والى كل جهة تكون مظنة للبحث ، إن تاريخ عمان أكبر من أن تضمه كتب معدودة ذات مواضيع محدودة ، انه أكبر من ان يكتفى فيـــه بالتعريفات السطحية العائمة .. انه تاريخ للحمة ساخنة أسهمت فى تكوين الرجال ، وفى اعداد العلمـــاء ، وفى إثراء المذاهب واغناء المعرفة ، وازدهار الملاحـــة وتطور الفلاحة وتدرج الصـــناعة .

أيهـا السـادة ••

لعله من قبيل الصدف الجميلة بالنسبة الى ، أن أقدم هذه المسامرة فى نفس اليوم الذى سعدت فيه بزيارة السلطنة قبل سنتين ضمن الوفد الرسمى الذى قدم لهذه الديار برئاسـة الوزير الاول معالى السيد أحمد عصمان وانه لمن حسن الطالع حقا أن نشهد ثمار ذلك الاجتماع الذى تم بين الوفدين العمانى والمغربى والذى كان يهدف بحث امكانيات توسيع التعاون بين البلدين الشقيقين فى شتى المجالات بما فيها الثقافية والتعليمية تحقيقا للرغبة الصادقة المتبادلة بين جلالة الملك الحسن الثانى وأخيه جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم •

فقد شهدت السنتان الماضيتين فعـلا عدداً من مظـاهر اللقاء على كل صعيد وكل مستوى ، وقد شاركتكم هنا فرقنا الغنية الفرحة بأعيادكم الوطنية ، وعما قريب ستسعد المملكة المغربية بالاسبوع الثقافى العمانى على أرضها حيث سترحلون بتقاليدكم وأمجـادكم الى المغـرب الأقصى وهنـاك سيتأكد المواطن المغربى عن هديه هذا الشعب العمانى العريق الذى استأسد على مسالك البحار ، والذى نراه اليوم يفجر الطاقات ، ويتحدى الصخور والجبال •

ان كل ذلك لا يعتبر مؤشرا دالا على ما سيشهده بلدينا من

تعاون مجدى مثمر فى ســائر الميادين الاخــرى من اقتصادية وتجارية وتقنية وغيرها ..

أدام الله علينا جميعا نعمــة الاســتقرار والاستمرار الكفيلين وحدهما بتحقيق التقدم والازدهار وضمان العــدل والســلام .

رقم الايداع ٢٨٧٤ لسنة ١٩٨٣

مطابع سـجل العرب


Bibliotheca Alexandrina
0320538